الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

من البرهان إلى العرفان رحلة البحث عن الحقيقة
أبو حامد الغزالي من التفلسف العقلاني إلى التصوف العرفاني
قراءة تتبّعية لتطور التفكير الفلسفي عند الغزالي

Searching for Truth from Demonstration to Mystic Meditation(An Analytic Reading of Al-Ghazal Philosophical Thinking Evolution)

د.ميلود حميدات
أستاذ محاضر«أ» قسم العلوم الانسانية كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الأغواط
hfarouk18@hotmail.fr

ملخص

إن المتأمل لما تركه الغزالي من مؤلفات يلاحظ دون عناء تنوع تلك المصادر من ناحية الموضوع وكثرتها من جهة العدد، إذ لم يكتب لأحد من فلاسفة الإسلام أن ترك ذاك الكم الهائل من المؤلفات التي تناولت الفلسفة وعلم الكلام، والمنطق والتربية، والفقه والتصوف، وغيرها من الموضوعات.

ولكن أهم ما في كل ذلك هو منهجه ونقده للعلوم، وتنقله بين البرهان والعرفان، بين العقل والإلهام للبرهنة على الحقيقة التي ينشدها، منتصرا للتصوف، معتبرا إياه نهاية كل علم، ومطلب كل عارف، ونجاة كل باحث، والمهم في كل هذا كيف وصل الغزالي إلى ذلك؟ وفي هذا المقال نتتبع مراحل تفكير الغزالي، ومنهجه لنثبت انه فيلسوف متصوف وإن أنكر ذلك، وأن تنوّع وسائله المنهجية يؤكد هذه الحقيقة، فسواء استخدم البرهان المنطقي أي الاستدلال، أو التأمل الباطني أي الحدس، فكلاهما يلتقيان في أنهما نشاط عقلي فلسفي محض، هذا النشاط التأملي العميق هو الذي يميّز عبقرية الغزالي.

الكلمات الدالة: البرهان، العرفان، الفلسفة، التصوف.

Abstract

Considering the legacy of Al-Ghazali's literary works, it is worth noticing the diversity and variety of his sources regarding themes. No one among the Islamic philosophers left that voluminous literature on philosophy, theology, logic, education, literature, Sufism and other topics but him. Most important of all is his style and critics of science, and also his shift between proof and gratitude to demonstrate truth. In the present article, we follow Al-Ghazali's stages of thought to prove that he was a Mystic philosopher. Beside, the diversity of his methodological tools is a proof that lays ground for this view. Whether he makes use of logical proof, that is reasoning, or mystical meditation, that is intuition, they both converge in the fact that they refer to a pure philosophical mental activity.

Keywords: *Demonstration, Mystic Meditation, Philosophy, Sufism.*

عصر الغزالي والظروف الاجتماعية والفكرية

لا يمكن فهم أي مفكر دون معرفة الظروف التاريخية والفكرية التي عاشها وتأثر بها، لأن المفكر ابن عصره وبيئته، فما بالك إن كان هذا المفكر أو الفيلسوف منغمسا في الحياة السياسية والاجتماعية لمجتمعه كما كان الحال بالنسبة لأبي حامد الغزالي، فلا شك أن التأثير والتأثر قد كان كبيرا.

فقد أدى ضعف الخلفاء العباسيين، إلى سيطرة العناصر التركية على الحكم في بغداد، فصار السلاجقة هم أصحاب السلطة الفعلية في بغداد. وظهر التهديد الجدي للخلافة في بغداد، من الإسماعيلية والباطنية من الشرق، والقرامطة من الجنوب، والفاطميين من مصر، والصليبيين من الشام، واستشرى الصراع الفكري والسياسي بين كل هذه الفرق، كل يدافع عن مذهبه وفرقته، ويتّهم غيره بالضلال والكفر[1].

كما تأثرت علاقات المذاهب الفكرية؛ إذ حلّ التعصب مكان التسامح. وأوقع كل فريق بالآخر، فأضطهد العلماء وحدثت الفتن. وظهر خطر الإسماعيليين الذين أنشئوا الجامع الأزهر، ليكون مركزا لنشر الدعوة الشيعية. في حين تحالف السلاجقة مع مذاهب السنة، في مواجهة الخطر الإسماعيلي في ميدان العقيدة والفكر.

في ظل هذه الظروف المتقلّبة، والصراعات المذهبية، وغلوّ الفرق الباطنية، وانحراف الناس عن دينهم، والخطر الداهم من الصليبيين على ما بقي من خلافة في بغداد، ظهر الغزالي مجددا لعلوم الدين، ومدافعا عن وحدة المسلمين، ودولة الخلافة في بغداد، ومهاجما للفرق المناوئة للسلطة آنذاك؛ خاصة الفرق التي تتبنى الفكر الباطني الشيعي. ولعل ما تتميز به شخصية الغزالي من مميزات فكرية ودينية، وقوة في المناظرة والإقناع، قد مكّنته من لعب دوره كما يجب، رغم اتّهام البعض له بتناقضه؛ نظرا إلى تنوع الموضوعات التي خاض فيها، والتطور والتنوع الذي عرفته أفكاره [2].

كما أن الظروف والبيئة التي وجد فيها الغزالي أثّرت عليه كثيرا. ولعلّ هذا التقييد الذي أظهر الغزالي امتعاضه منه، قد أثر على أفكار الغزالي من حيث يدري أو لا يدري، ولو لم يكن هذا التضييق، لكان للغزالي شأن أخر...ولعلّ نصيحته الآتية تثبت ارتيابه من أهل الحكم والسلطان، إذ يقول: «وإن بُليت بصحبة السلطان، فكن منه على حذر، ولا تأمنّ من انقلابه عليك، وأرفق به رفقك بالصبي، وكلّمه بما يشاء». [3]

التحليل: مراحل تطور حياة الغزالي الذاتية والفكرية

بعد استعراضنا للظروف الاجتماعية والفكرية التي عاشها الغزالي، يمكننا الآن أن نتتبع تطور تفكيره، ومراحل هذا التطور الذي يبرز منهجه وفلسفته.

أولا هو محمد بن محمد بن محمد: أبو حامد الغزالي* ولد سنة (450هـ)، كان أبوه رجلا فقيرا يعيش من عمل يده في غزل الصوف، كما عرف عنه أنه يحب مجالس العلم، وأهل التصوف. إذ لمّا حضرت الوفاة أب الغزالي، وصّى به وبأخيه أحمد** صديقا له من أهل التصوف. وقال له: إنّ لي تأسفا عظيما على ما فاتني من التعلم، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديّ هاذين، فعلّمهما، ولا عليك أن ينفذ في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لهما [4].

وأنفذ الصوفي وصيته، وأقبل على تعليمهما، حتى فني المال القليل الذي خلّفه أبوهما، وتعذر عليه المضي في تعليمهما، أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به.

ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما، إلا أن يلحقهما بمدرسة من تلك المدارس، التي تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء. ولذلك كان الغزالي يقول: »مات أبي، وخلّف لي ولأخي مقدارا يسيرا ففني بحيث تعذر علينا القوت، فصرنا على مدرسة نطلب الفقه، ليس المراد سوى تحصيل القوت، فكان تعلّمنا لذلك، لا لله، فأبى أن يكون إلا لله». [5]

وقد تفقه على إمام الحرمين(الجويني)(419، 478هـ)، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته حتى أنه درّس في النظامية ببغداد، سنة(484هـ)، وله(34سنة)، فحضر عنده رؤساء العلماء، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل، وهما من رؤوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته وإطلاعه [6].

وقد اشتهر الغزالي بتدريسه، وقوة حجته، وقدرته على الإقناع فقصده العلماء وطلبة العلم، وأهل الزهد والتصوف من كل مكان، رغبة في سماعه، وكان يؤم مجلسه أعداد كبيرة من طالبي العلم، إذ يقول:«فشمرت على ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب(يعني الفلسفة)، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية، وأنا ممنو(يعني مبتلى) بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد» [7].

لم يُعرف الإمام الغزالي بتخصصه في علم من العلوم أو فن من الفنون، بل كان اسمه يتردد على رأس كل قائمة تضم علماء الفقه، أو الأصول أو الكلام أو التربية، أو التصوف أو الفلسفة أو علم النفس ، فهو مدرسة جامعة، ومرجع كبير.

مؤلفات الغـزالي

ألّف الغزالي في مجالات مختلفة، إذ ترك ثروة ضخمة من المصادر، التي تناولت بشكل موسوعي كثيرا من مجالات العلوم في عصره، نلخصها كالآتي:

الفقه: إحياء علوم الدين. فتاوى الغزالي. علوم القرآن: جواهر القرآن، حقيقة القرآن. التصوف: كيمياء السعادة، ميزان العمل، القسطاس المستقيم، مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، المنقذ من الضلال. نقد الفرق والمذاهب: قواصم الباطنية، المستظهري في الرد على الباطنية. الفلسفة: مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة. علم الكلام: المنتحل في الجدل، لجم العوام عن علم

الكلام، الاقتصاد في الاعتقاد. المنطق: معيار العلم، محك النظر في المنطق، معيار العلوم في فن المنطق. علم الأصول: المستصفى، والمنخول في علم الأصول، الأربعين في أصول الدين. الأخلاق والتربية: الإحياء، ميزان العمل، رسالة أيها الولد، الأدب في الدين.

وقد أُحصى (موريس بويج 1951 ،1878)(Maurice Bouyges م) للغزالي (404) ما بين كتاب ورسالة ومخطوطة، [8]أما(عبد الرحمان بدوي)(1917، 2002م) فقد بلغ عنده ما نُسب إلى الغزالي أكثر من (457) ما بين كتاب ورسالة ومخطوطة، بما فيها ما هو مكرر مع تغيير العنوان [9].

ولعلّ كتابه إحياء علوم الدين هو أهمها على الإطلاق، باعتبار أنه جامع لكثير من العلوم، وكثير من كتبه الأخرى هي تكرار لما جاء فيه، زيادة على أن الغزالي ضمّنه أهم أفكاره في الفقه، والعقيدة والأخلاق والتربية، وبالأخص مذهبه في التصوف.

الغزالي والتفلسف العقلاني (استخدام البرهان)

منهج الغزالي الفلسفي: إذ يخاطب كل فئة بما يناسبها من مناهج الإقناع وهي:

الأول: منهج الموعظة، أي الاعتبار من أعمال وأفعال الأنبياء والعلماء والصالحين، أي طريقة البيان والأمثلة المحسوسة، والأدلة الملموسة، ويخاطب به العوام الذين ليس لهم ذكاء.

الثاني: منهج الحكمة، أي الأدلة العقلية والحجج المنطقية، أي طريقة البرهان لمخاطبة الخواص من أصحاب البصيرة والذكاء.

الثالث: منهج الجدال، بتفنيد أدلة الخصم، وإثبات تناقضه، وبالتالي إفحامه، أي طريقة المناظرة لمجادلة أهل الشغب والجدال [10].

ويلح الغزالي مع أهل الجدل، على ضرورة اعتماد التلطف، والرفق وعدم التعصب أو التعنيف، ومخاطبتهم بالتي هي أحسن [11].

إعتماد الشك المنهجي: فلنتأمل هذه العبارات التي ذكرها(الغزالي)، ولنقارنها بما جاء به ديكارت، للتمثيل، إذ يقول الغزالي: «العلم اليقيني هو الذي يكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم... بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين، مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكا وإنكارا...ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته! فأما الشك في ما علمته فلا». [12]

ويقول (ديكارت): «قررت أن أحرّر نفسي، جدّيا مرة في حياتي، من جميع الآراء التي آمنت بها قبلا، وأن أبتدئ الأشياء من أسس جديدة، إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم قواعد وطيدة، ثابتة، مستقرة» [13].

ويؤكد (ديكارت)على أن بداية التحرر من الآراء المستمدة من التقليد، تكون ببناء العلم على قواعد جديدة، بحيث «لا أقبل شيئا على أنه حق، ما لم أعرف يقينا أنه كذلك: بمعنى أن أتجنب بعناية التهور، والسبق إلى الحكم، قبل النظر، وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز، بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع الشك». [14]

إن المقارنة بين الغزالي وديكارت تحيلنا إلى أن التشابه أو التأثير« جلي لا مراء فيه، من حيث منهج الشك الذي يقرب بين النسقين ويجعلهما يهدفان معا إلى تحقيق غايتين تقربهما بقدر ما تبتعد عنهما». [15]

إذ أن منهج التأمل والشك المنهجي عند الغزالي: صفة ملازمة للتفكير الإنساني، فالذي يبحث عن الحقيقة لابد أن يشك فيما عرفه، وفيما يستطيع أن يعرفه، فالشك دليل اليقظة العقلية، وعنوان حركة العقل البشري نحو الحقيقة، وتوقه إلى اليقين، فمن لم يشك لم يتعلم، والغزالي عاش في بيئة مليئة بالمتناقضات الفكرية والمذهبية، كما أنه وجد أن التقليد سيطر على العقول، فقيّد تفكيرها وجمّد نظرها، لذلك شك الغزالي في التقليد، وأراد أن يبني المعرفة على اليقين، حيث اعتبر«الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر، لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال». [16]

والمتأمل لشك الغزالي يجده ينطلق من سببين:

الأول ذاتي: وهو ما يتميز به الغزالي من ذكاء ومميزات عقلية، تتجاوز المعرفة التقليدية الموروثة، إذ يقول: «وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني، من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت عليّ العقائد الموروثة». [17]

ولذلك سعى الغزالي إلى معرفة الحق والفطرة الصافية التي يولد عليه الصبي، قبل أن تتدخل عوامل تقليد الوالدين والمعلمين لتغييرها.

الثاني موضوعي: وهو تأسيس للعلم الذي لا يختلف فيه اثنان، أو العلم الموضوعي بمصطلحنا الحديث، العلم الذي تنكشف فيه الحقائق للنفس فلا يبقى أدنى ريب، ولا يتصور الخطأ والتوهم، بحيث لا يتزعزع هذا اليقين في النفس مهما حدث، ولا يرقى إليه الشك « فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم». [18] وهو العلم المطلوب لتأسيس المعرفة العلمية الصحيحة.

وبعد هذا التحليل يتأكد لدينا أهمية هذه الخطوة المنهجية التي اعتمدها الغزالي، والتي تدل على أنه شك منهجي يهدف إلى تهديم المعرفة الساذجة التقليدية، وبناء المعرفة العلمية اليقينية، المؤسسة على العقل والبرهان، لا الجهل والتقليد.

فلسفة الوسطية والاعتدال: أدرك الغزالي أهمية احترام الطبيعة الإنسانية والتحرك في إطارها، دون تجاوز فطرة الإنسان في تحقيق حاجات الإنسان. وبالتالي دعا إلى الوسطية والاعتدال،

وتجنب المبالغة والتشدد من جهة، أو الإفراط والتسيّب من جهة أخرى، ووضع كل مطالب الجسد والنفس تحت إمرة العقل ليحسن توجيهها نحو خير الإنسان وسعادته الدينية والدنيوية. «وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردّها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط..بل يكون العقل هو الضابط...وهو المراد بتغيير الخُلق». [19]

كما يبرهن الغزالي على صحة ما يذهب إليه من التجربة والواقع المشاهد في إمكانية التحكم في الأخلاق، والاعتدال في الرغبات والغرائز، من خلال الرياضة والممارسة. وقدرة الناس على التخلق بالأخلاق الحسنة والعمل بها أمر مشاهد لا شك فيه [20].

إنّ أهمية الفلسفة كنتاج عقلي يرتبط بمدى التطور الفكري والحضاري لمجتمع، أو أمة من الأمم، يجعل من الفلسفة مرآة صادقة عن التفكير، ومدى المعقولية والتأمل، اللذين تمتاز بهما الأمم، في تحليلها للواقع، ونظرتها إلى الكون والوجود بصفة عامة.

من هذا المنطلق كان اهتمام المستشرقين، ومفكري الغرب بالفكر الفلسفي عند المسلمين، ولم يخف الغرض من ذلك، وإن بدا في أشكال وألوان مختلفة، ولكن توحدت منهجيتهم في التعامل مع ما أنتجه المسلمون.

وسنتناول موقف الغزالي من الفلسفة، ونقده للفلاسفة، مبرزين أن ذلك لم يكن خارج الفلسفة والتفلسف، ولم يقض على الفلسفة كما يشاع، وإنما أسّس لفلسفة لا تتفق ومسلمات الفكر اليوناني، ومن تبعه من فلاسفة الإسلام.

لقد قصد الغزالي من(تهافت الفلاسفة) تناقضهم في بعض مسائل العلم الإلهي، وبعض مسائل العلم الطبيعي، لا في كل مسائل العلمين، ولا في غيرهما من مسائل علومهم الأخرى، كما أوضح ذلك غاية الإيضاح في مقدمة كتابه (مقاصد الفلاسفة.)

«وإن غفل قوم عن ذلك في القديم والحديث، وظنوا أن الغزالي يحمل على التفكير العقلي جملة ويكرّهه ويحاربه، ويريده أن لا يكون، ومن هنا قالوا ما قالوا: من أن الغزالي قد ضرب الفلسفة (يعنون كلّها) ضربة لم تقم لها بعد في الشرق قائمة ». [21]

والمتتبع لكتبه يجده فيلسوفا متكلما، وفقيها متصوفا، يدافع عن القضايا التي آمن بها بكل حماس وقوة، دون كلل أو ملل، وقد دافع البعض ممن جاءوا بعده عن فلسفته، معتبرين ذلك خدمة للدين وليس العكس، إذ يقول طاش كبرى زاده: «وإنما السلف مثل الإمام الغزالي، والإمام الرازي، مزجوا كتب الكلام بالحكمة، لكن للرد كما تراه في تصانيفهم، ولا بأس بذلك، بل ذلك إعانة للمسلمين وحفظ لعقائدهم». [22]

فالغزالي فيلسوف، وإن بدا أو أبدا غير ذلك، لأنه أحب الفلسفة وإن أنكر ذلك، إلا أنه فيلسوف مؤمن ملتزم بالمذهب الأشعري، كما أنه لم يكن ضد الفلسفة، كتفكير وتأمل وبحث عن الحقيقة، وإنما ضد نظريات وأفكار من الفلسفة اليونانية، تبنّاها بعض فلاسفة الإسلام، يعتقد الغزالي أنها تخالف أصول الإسلام، كما أنه برع في استخدام المنطق والفلسفة. لم يكن الغزالي ضد الفلسفة بالجملة، بل كان ضد الفلسفة اليونانية بالخصوص، ومن تأثر بها من فلاسفة المسلمين، لذا كان ناقدا لغيره من الفلاسفة، وهذا لا يضيره في شيء، فقد رفضت مدارس يونانية الفلسفة، وكان ذلك إثراء للفكر الإنساني، فمثلا شكك الريبيون في وجود الحقيقة في حد ذاتها، واختلف فلاسفة اليونان في نظرتهم إلى العالم بين الثبات والتغير. فلا ضير إذن أن ينقد الغزالي غيره، حتى ولو أخطأ؛ فذلك من التفلسف لأنه أثرى الفكر الإنساني بنقده، وتجاوز الفلسفة اليونانية إلى فلسفة مبنية على أصول الإسلام، ويبقى عند محبيه أو مبغضيه صاحب موقف يحترم عليه، سواء أصاب أم أخطأ.

قد يكون الغزالي من الذين رفضوا التمجيد والتقديس الذي أعطي لفلاسفة اليونان، وأراد أن يحطم تلك القاعدة، ويبدي استقلاله الفلسفي، وسيتبعه في ذلك كثيرون فيما بعد (ابن تيمية مثلا).

إذ لم يكن تجاوز فلاسفة اليونان بالأمر الهيّن، فقد عُرفا أفلاطون وأرسطو عند فلاسفة المسلمين بالحكيمين، وتجاوز الغزالي لعقدة الخوف من فلاسفة اليونان، قد تحسب له لا عليه، وذلك من باب أصالة الفكر والاستقلالية في الرأي.

وقد أكّد هو نفسه على وجود تلك الرهبة والخوف من فلاسفة اليونان، نظرا إلى وصفهم بشدة الذكاء والحكمة، ورزانة عقولهم في المسائل الطبيعية، مما يجعل البعض ينجر إلى إتباعهم في كل شيء، ولو في عقائدهم الفاسدة [23].

ونحن نوافق الغزالي في أن طلب الحقيقة أعظم من أي شخص مهما عظمت مكانته في العلم والفلسفة، كما شهد بذلك حتى بعض المستشرقين،«لم يهاجم الغزالي النظريات المبنية على البرهنة الرياضية، وإنما انصب هجومه على الفلاسفة في القضايا الميتافزقية، وخاصة التي تتعارض مع ما جاء في النصوص الدينية الإسلامية، مثل خلق العالم، الصفات الإلهية، بعث الأجساد». [24]

وقد كان الغزالي منهجيا في فلسفته النقدية، إذ لم يكن بإمكانه نقد الفلاسفة في كتابه (تهافت الفلاسفة)، دون أن يعْرف ويعرّف مذاهبهم، وفلسفاتهم، وقد ألّف لذلك الغرض كتابه(مقاصد الفلاسفة)، الذي بيّن فيه أفكارهم، وأغراضهم، وبطبيعة الحال استفاد الغزالي من ذلك كثيرا، إذ قرأ أفكار الفلاسفة، وسبر أغوار نظرياتهم، وتتبع مذاهبهم، وخالفهم فيما رآه مخالفا للدين، ووافقهم في ما رآه صحيحا، وتأثر من حيث يدري، أو لا يدري بأفكار الفلاسفة، وخاصة الفارابي، وابن سينا، وظهر ذلك جليا في المنطق.

ومن الغريب أنه حتى في عصرنا هذا، بعد ما تيسّر طبع الكتب،

وأمكن الإطلاع على مؤلفات الغزالي، «ما يزال بعض المنتسبين إلى العلم، يجهلون هذه الحقيقة، وقد يبلغ بهم الأمر أن يزعموا أن الإسلام، فضلا عن الغزالي، يكره الفلسفة ويحاربها، ونحسب أن الأمر قد أصبح لدى من يحرصون على أن يعرفوا الحق في هذا الشأن أوضح من يحتاج إلى مزيد من القول فيه». [25]

ولعلّ شهادات أخرى لدارسي الفلسفة الإسلامية، تنفي تلك الفرية التي ألصقت بالغزالي، إذ يقول (هنري كوربان Henri Corbon(1903، 1962)م): «فمن اللّغو الباطل أن نقول أن الفلسفة بعد الغزالي، قيّض لها أن تنتقل إلى غرب العالم الإسلامي، كما أنه من الخطأ أيضا، الزعم بأن الفلسفة لم تقم لها قائمة بعد تلك الضربة التي وجهها لها الغزالي، فقد بقيت الفلسفة مزدهرة في الشرق، بحيث أننا نجد حتى أيامنا هذه فلاسفة يدينون بمبادئ ابن سينا». [26]

وقد نبّه إلى ذلك أيضا(عبد الرحمان بدوي)(1917، 2002م) الذي يرى أنه من الأوهام القول أن الغزالي قضى على الفلسفة، فالغزالي لم يقض على الفلسفة كما يشاع، إذ لم يؤثر كتابه تهافت الفلاسفة تأثيرا يذكر، كما أثرت كتبه الأخرى. [27]

ويذهب إلى نفس الفكرة تقريبا(محمد عابد الجابري) (1935،2010م)، معتبرا تلك الفرية الموروثة، أن الغزالي قضى على الفلسفة، ما هي إلا الضربة القاضية الكاذبة، مُرجعا تهافت الفلاسفة إلى الصراع المذهبي وليس الديني، بين المذهب السني والمذهب الشيعي، مبرهنا على فكرته من خلال أدلة نجملها في:

1. فلسفة ابن سينا التي عارضها الغزالي، وعمل هو نفسه على نشرها، بقيت حيّة تمارس تأثيرها بعد الغزالي.

2. لم يكن لكتاب الغزالي أي تأثير يذكر، حتى عند الأشاعرة الذين خلفوا الغزالي في ساحة علم الكلام، وكتبت ردود جديدة أكثر موضوعية واعتدال، كما تجاهلت تماما ردود (الغزالي)؛ وخاصة تكفيره للفلاسفة.

3. إن البديل الذي دافع عنه الغزالي في مقابل الفلسفة، هو علم الكلام الأشعري، سرعان ما أختلط وامتزج بالفلسفة بعد (الغزالي)، كما يشهد ابن خلدون. [28]

وما نضيفه لتأكيد الفكرة، هو أن الغزالي كان مكلَفا من طرف حكام الدولة السلجوقية، بالرد على المذهب الشيعي والباطنية، التي كانت تشكل خطرا داهما على المذهب السني، والسلطة السنية، ممثلة بالخلافة العباسية، والحكم السلجوقي في بغداد، التي كانت بين فكي كماشة، الحكم الفاطمي الشيعي في مصر، والإسماعيلية في إيران.

وفي كل الأحوال، لم يكن نقد (الغزالي) للفلسفة كتفكير وبحث عن الحقيقة، وإنما انصب نقده على بعض الفلاسفة، وكان الدافع السياسي كما ذكرنا سابقا مؤثرا، كما يأتي الدافع الديني أو العقائدي، بل المتتبع لتبريرات الغزالي يجد أن النقد يحمل الصبغة التربوية، أي أن الغزالي كان يحذر من تقليد هؤلاء الفلاسفة في السلوك، مما ينتج عنه ازدراء الدين، وعدم القيام بالواجبات الدينية. [29]

ولما كان هؤلاء الفلاسفة قدوة لغيرهم في الذكاء والعلم، فقد يتبعهم الناس في أفعالهم تلك. ولذلك كان نقد الغزالي منصبا على ما يعارض الدين من الفلسفة. وليس الفلسفة في حد ذاتها كبحث عن الحقيقة.

ولذلك استطاع الغزالي أن يحطم، ويتجاوز تلك السلطة الفكرية التي كانت لفلاسفة اليونان، ومن تبعهم من الفلاسفة المسلمين.

ولقد أدرك(ابن رشد) ذلك فسمّى كتابه (تهافت التهافت)، ولم يسمّه(تهافت الغزالي) «ولو أدرك ابن رشد أن الغزالي يحارب الفكر الإنساني، والفلسفة البحتة، لما كان ردّه مقتصرا على الكتاب، ولشمل شخصية الغزالي، ومجمل تفكيره». [30]

معالم فلسفة الغزالي من خلال شخصيته

تبرز قوة فلسفة الغزالي في مجموعة من العناصر نلخصها كالأتي:

. استخدامه الشك المنهجي، كجزء من المنهج الذي يدعو إليه في البحث والتعلم.

. تميز الغزالي بالذكاء والفطنة وقوة الذاكرة، ودعوته إلى حفظ المعارف، ولعل قصته مع معلقاته وقطاع الطريق، تعطينا فكرة عن ذلك.

. اعتداد الغزالي بنفسه وثقته بذكائه، ومعرفته بقوة عقله وسعة معارفه كان واضحا حتى في بعض كتبه، بل لقد اعتقد أنه مجدد وعالم محي لعلوم الدين في المائة الخامسة. ولعلّ تسمية الغزالي لكتابه إحياء علوم الدين ما يؤكد اعتقاده.

. كُره الغزالي للتقليد، ودعوته إلى إعمال العقل، والتوصل إلى الحقيقة بالاقتناع عن طريق البحث، لتسطع الحقيقة بالحدس والاستدلال.

. تمثّل الغزالي لحياته وطفولته إذ عاش يتيما فقيرا، إذ عهد به أبوه قبل وفاته إلى صوفي لتربيته وتعليمه، وكانت تلك الفترة قاسية في حياته، مؤثرة في أفكاره، خاصة دعوته إلى الزهد، كما أنه رجل عصامي، عانى كثيرا ليصل إلى مكانته وعلمه، وتلك العصامية والشجاعة والمجاهدة، حاضرة أيضا في أفكاره وكتاباته.

حيث يقول عن نفسه:«ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ قبل العشرين، إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور...وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت عليّ العقائد الموروثة، على قرب عهد سن الصبا». [31]

الغزالي من التفلسف إلى التصوف من البرهان إلى العرفان

انتقل الغزالي من خلال تجربة طويلة مارس فيها الفلسفة وتغذى من ثمارها وتتلمذ على فلاسفتها وتأثر بآثارها، ويكفي أنه ألف في الفلسفة وفي المنطق، وتبنى كثيرا من آراء الفلاسفة الذين قرأ لهم وتأثر بهم من حيث أراد أو لم يرد، كما أن محطة التصوف وصلها من خلال مراحل من التفلسف ومعاناة الشك، وممارسة التأمل والبحث الفلسفي واستخدام البرهان للرد على الفلاسفة ومقاصدهم، ثم على المتكلمين وحججهم، وعلى الباطنيين وتعاليمهم، إذ جاء على لسان الغزالي: «انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق: المتكلمون: وهم يدّعون أنهم أهل الرأي والنظر. الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم. الفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان. الصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة». [32]

كما يؤكد الغزالي في تعامله مع الفلسفة أنه لا يقصد هدم ما هو معلوم بالضرورة وبالبداهة من العلوم الطبيعية أو الرياضيات أو المنطق، وإنما المقصود بتفنيد أقوال فلاسفة اليونان في الإلهيات أو ما يتعلق بالإيمان بالله، فالغزالي لا ينكر حقائق الفلسفة وما هو ثابت ويقيني منها سواء في المنهج أو في الموضوع [33].

والنتيجة أنه وصل إلى التصوف من التفلسف، وإلى العرفان من البرهان، كما اعتقد الغزالي أنه يؤسس لنظرية في التصوف. فما طبيعة التصوف عند الغزالي.

الغزالي وتأسيسه لعلم التصوف وانتصاره للعرفان

يشهد (ابن خلدون) أن الغزالي مؤسس لعلم التصوف، إذ جمع ما قاله فيه أسلافه، وبيّن أصول التصوف وآدابه، وحدّد مناهجه وأهدافه، إذ يقول ابن خلدون في ذلك: «كتب رجال من هذه الطريقة في طريقتهم. فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس...(المحاسبي ت243هـ)؛ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم...كما فعل (القشيري ت465هـ)، (والسهروردي ت587هـ) وأمثالهم، وجمع (الغزالي) رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء، فدوّن فيه أحكام الورع والإقتداء، ثم بيّن آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم. وصار علم التصوف في الملة علما مدوّنا، بعد أن كانت الطريقة، عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال».[34]

كما ينتقد (ابن خلدون) التصوف الذي يقول بالحلول والإتحاد، ويرجع أصوله إلى الشيعة، والإسماعيلية في تقديسهم لأئمتهم، وقولهم بالظاهر والباطن، كما ينتقد شطحات الصوفية، وإن كان يدعو إلى حمل ألفاظهم على القصد الجميل، لأنهم أهل غيبة عن الحس، فينطقوا بما لا يقصدونه، والتصوف المحمود عنده هو تصوف سلف الأمة الذين لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، وإنما همهم الإتباع والإقتداء بالرسول(ص) وصحابته الأطهار [35].

وقد أمتاز تصوف الغزالي بأنه حصيلة تجربة ذاتية عميقة، بدأت بأزمة شك حادة أعجزت الغزالي عن التدريس، ودفعته إلى الاعتكاف والاعتزال والتعبد طلبا للحقيقة، وسعيا لتبديد الشك والوصول إلى اليقين، حتى ألهمه النور الباطني الحقيقة، التي تجسدت في العودة إلى الله وتصفية النفس لتصل على اليقين، وقد عبر عن تحصيله للتصوف بقوله: »أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله. وكان العلم أيسر عليّ من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم... وحصَّلت ما يمكن أن يُحصّل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخَصّ خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات». [36]

حيث كان الغزالي في بحثه عن الحقيقة، صاحب فكر حر، أنكر التقليد، وانتقد الجمود وآمن بالعقل المستنير بالشرع، وإذا كان الغزالي متصوفا، فإن تصوفه ليس صوفية العامة، التي تشوبها مظاهر الجهل والشرك، وإنما صوفية مستنيرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة، المعرفة بكل أشكالها موافقة كانت أو مخالفة، أخذ بها أو لم يؤخذ.

وهي صوفية تقف في وجه الابتداع، وتقف أيضا في وجه التقليد، صوفية تقف في وجه شطط العقل، وفي نفس الوقت تحترم أحكام العقل التي لا تقبل الاختلاف؛ حتى ولو عد ذلك في نظر الجامدين خروجا عن الدين ومخالفة للنصوص، إنه يؤول تلك النصوص بما يتفق وأحكام العقل ونواميس الطبيعة، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل النصوص على ما فيها من مخالفة لصحيح المعقول، مضر بالإسلام ومشكك في صحة العقيدة. [37]

التصوف تربية للنفس عند الغزالي

أدرك الغزالي أن التصوف إنما يتم بعلم وعمل، أي بالمعرفة والممارسة معا:

الطريق الأول: العلم وقد بدأ الغزالي بتحصيله من كتب أهل التصوف، مثل(قوت القلوب) لأبي طالب المكي(ت386هـ)، (والرعاية لحقوق الله) للحارث المحاسبي(ت243هـ)، والمتفرقات المأثورة من أقطاب الصوفية مثل الجنيد(ت297هـ)، والشبلي(ت334هـ)، والبسطامي(ت261هـ) وغيرهم.

ولمّا أدرك الغزالي أن خصوصية التصوف تعرف بالذوق وليس بالتعليم.

ومنه كان الطريق الثاني: العمل وهو التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل المذمومة، لكي يتوصل إلى على تصفية القلب عن غير الله ، ليملأ بذكر الله، ويعبر الغزالي عن ذلك

التأزم النفسي، والخوف من لقاء الله، دون الوصول إلى تصفية النفس وتحقيق الإخلاص: «وكان قد ظهر عندي أنّه لا مطمح لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الحياة والمال، والهروب من الشواغل والعلائق».[38]

«كان أثر شخصية (الغزالي) لا يقل عن أثر كتاباته وأخصها بالذكر (إحياء علوم الدين) ذلك بنفوذه إلى مجتمعات ما كانت تحفظ للتصوف أي مودة حتى ذلك الحين... فقد أشاع في التصوف روحا محافظة وآراء قوية شديدة التماسك كانت بمثابة أشبه (بكابحات) في ذلك الزمن العاصف الذي عقبه».[39]

فقد امتاز تصوف الغزالي بالاعتدال، والتشبث بالقرآن والسنة، وتتبع ما ثبت عن الرسول وصحابته والتابعين من زهد وتقشف، فعد عند المؤرخين بالتصوف السني، البعيد عن التصوف الفلسفي، إذ يقسم البعض التصوف إلى أنواع هي:

1. التصوف الفلسفي المتأثر بالأفلاطونية، وقد ظهر عند بعض الفلاسفة المسلمين، (كأبي نصر الفارابي (259، 339هـ) وأبي علي الحسين ابن سينا (370، 428هـ)، وأبي بكر ابن طفيل (500، 580هـ).

2. التصوف الغنوصي، القائل بالإتحاد والحلول، والمتأثر بعقائد فارسية وهندية، ويمثله (الحسين بن منصور الحلاج (244، 309هـ)، وأبو محمد ابن سبعين(614، 669هـ).

3. التصوف السني، المبني على الزهد والتقشف الذي عرف عليه النبي (ص)، وصحابته، ويمثله: أبو القاسم الجنيد (ت297هـ)، الحارث المحاسبي(161، 243هـ)، والغزالي (450، 505هـ).[40]

لقد عمل الغزالي بكل ما أوتي من قوة للتوفيق بين التصوف والشريعة الإسلامية، وذلك على أساس أن التصوف تحقيق للشريعة لدى المسلم تصديقا وعملا.

وخاصة بالتأكيد على الإيمان والتوحيد وإخلاص العبادة لله سرا وعلانية، وعدم الاكتفاء بأداء الشعائر الدينية في مظهرها الخارجي، دون أن تكون عن قناعة وصفاء للقلب. وهو سر التصوف كما قال: «تطهير الظاهر عن الأحداث... تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام، تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة، تطهير السر عما سوى الله تعالى... فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر، ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه». [41]

لقد خصص الغزالي كتابه الاحياء للتأسيس للتصوف الذي آمن به، وأعتبره الوسيلة المنجية من الفتن، والطريق إلى التوحيد وتصفية النفس من أمراض القلوب.

كما حاول الغزالي دون شك تصفية التصوف مما لحق به من ممارسات مخالفة للشريعة، من المؤثرات العرفانية الفلسفية، وذلك لإرجاع التصوف إلى نبع الإسلام الصافي، وما كان عليه الصحابة من زهد وتقشف في العبادة.

لقد كان للتصوف دور هام في فلسفة الغزالي، نظرا إلى ثراء التجربة الصوفية في بعدها الإنساني، إذ «التقى التصوف بكل الأديان، وطبع سلوك الأنبياء والمرسلين، والتصوف من جهة أخرى، ذو علاقة وطيدة بعلم النفس، و(الغزالي) من ناحية أخرى باحث في النفس، وفي التصوف مادة نفسية غزيرة، وحية تستوقف كل باحث، وتنشد اهتمام كل دارس». [42]

فالتصوف عند الغزالي أسمى مرحلة من مراحل التربية النفسية، ولعلّ المتأمل لتجربة الغزالي ورحلته من الشك إلى اليقين، يكتشف ذلك في حياة الغزالي الحافلة بالبحث عن الحقيقة، إذ اكتشف في التصوف ضالته متمثلة في الاستقرار والاطمئنان النفسي، الذي فقده بسبب الصراع السياسي والفكري الذي طبع عصره.

لقد تصور الغزالي التصوف تزكية للنفوس المريضة، التي غلب عليها تحقيق المطالب المادية، دون مراعاة للقيم الأخلاقية، ومنه كان التصوف دعوة إصلاحية، ناتجة عن تجربة الغزالي الشخصية في محاربة الأمراض الاجتماعية والنفسية، وحتى السياسية إذ لم يستكن، بل حارب أعتى الفرق المنحرفة، والتي اتخذت من القتل والإرهاب أسلوبا لنشر مبادئها.

فالغزالي لم يهرب من المجتمع بالتصوف، لينغلق على ذاته. وإنما قدّم التصوف للمجتمع كعلاج لآفاته. لقد عمل الغزالي ليكون التصوف مقبولا دينيا واجتماعيا ليس كممارسة تعبّدية فحسب، بل أيضا كممارسة تربوية علاجية لأمراض النفس، وانحرافات الأخلاق، ومنه برزت براعة الغزالي في تحليل النفس، وسبر أغوارها، وتفسير أحوالها.

ونعتقد أن التحول الذي حدث للغزالي هو التحول من الفلسفة الخاصة والبرهان العقلي الذي يصارع فيه الفلاسفة ومخاطبة العقول، إلى التأسيس للفلسفة الاجتماعية أي إلى التأسيس لفلسفة أخلاقية تربوية صوفية، إنه موقف انكفائي ورد فعل الغزالي على سيطرة الفلسفة اليونانية على الخصوص وممثليها من الفلاسفة المسلمين، الى التصوف باعتباره منتجا وموضوعا أصيلا من واقع المجتمع، كما ان اختياره للتصوف يعبر عن تجربة ذاتية عاش تفاصيلها مع أهل الحكم وظروف العصر التي أثرت على فكره واختياراته.

الخلاصة

إن المتتبع لإحياء علوم الدين يجد إحالات كثيرة إلى كبار المتصوفة ممن سبقوه، مما يرجح أن كتبهم كانت من المصادر الأساسية للغزالي في تأليفه، وخاصة: كتاب الرعاية: للحارث المحاسبي(ت243هـ)، وكتاب قوت القلوب: لأبي طالب المكي(ت386هـ)، وكتاب الرسالة: لأبي قاسم القشيري(ت465هـ).

ويبرز تأثير من سبقه في التصوف واضحا في كتابه، بل يعترف الغزالي بأنه طالع كتب التصوف وتعلم منها، قائلا: «ثم إني لما فرغت من هذه العلوم (الفلسفة والباطنية وعلم الكلام) أقبلت بهمتي على طريق الصوفية...فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل:(قوت القلوب) لأبي طالب المكي(ت386هـ)، وكتب الحارث المحاسبي(ت243هـ)، والمتفرقات المأثورة عن أبي القاسم الجنيد (ت297هـ)، وأبي بكر الشبلي (247، 334هـ)، وأبي يزيد البسطامي(188، 261هـ)، وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطّلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصّلت ما يمكن أن يحصّل من طريقهم بالتعلم والسماع».[43]

وعلى كثرة كتب الغزالي إلا أنه لا يشير إلى مصادره، . مع أننا نلاحظ أنه كثيرا ما يحيل في كتبه على كتبه . رغم أن كثيرا من الأفكار استقاها من غيره، نظرا إلى كثرة إطلاعه، وقراءته للعلوم، وخاصة أنه قرأ لمن يتفق معهم، كما قرأ لخصومه للرد عليهم. أما في الأخلاق والتربية فيبدو جليا تأثير من سبقه من فلاسفة الإسلام، وفقهاء الشافعية، مثل بن مسكويه، والماوردي.*

وأيضا لقد قرأ واستوعب الفلسفة وعلم الكلام، وألف فيهما، وإن نقد فلاسفة الإسلام كالفارابي، وابن سينا، إلا أن تأثيرهما عليه كان واضحا، وخاصة من خلال كتاب معيار العلم في فن المنطق، الذي كان من أكبر المدافعين عنه،[44] زيادة على تأثره بالشيخ الرئيس في تعريف النفس، ووظائفها، وتعريف اللذة والألم ، وموضوع الحواس والإدراك.*

كما كانت علاقة الغزالي بالأشعرية علاقة وثيقة، فهو يدافع عن نظرية الكسب، ويتبنى المذهب الأشعري في الأصول. [45]

كما يبرز جليا تأثر الغزالي بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وآثار السلف، وفهمه للدين، واجتهاداته، ويظهر ذلك جليا في استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، وقد عِيب عليه استشهاده بالأحاديث الضعيفة، وقد يعود ذلك إلى عدم اشتغاله بعلم الحديث الذي رجع إليه في أواخر حياته، كما يؤرخ المؤرخون. [46]

أما الأحاديث التي أوردها في الإحياء فقد خرّجها (الحافظ العراقي)(725، 806هـ)، وبيّن أن أكثر ما قيل فيه عن إيراد أحاديث ضعيفة غير مستقيم، إذ مقصده جميل لا يتعدى حسن ظنه بالذين رووْها في كتبهم من قبله، ونقل هو عنهم مثل صاحب قوت القلوب (أبو طالب المكي). [47]

ومنه نستنتج أن الغزالي فيلسوف، وإن بدا أو أبدا غير ذلك، وقد ثبت أنّه أنتج فلسفة لها خصوصياتها، تجلت في ميادين البحث المختلفة، وتبنت هذه الفلسفة شكلا فكريا وسياسيا محددا. حيث قدّم نفسه على أنه مصلح للمجتمع، ومحي لعلوم الدين، منتقدا ما وجد عليه الناس من صراع وفتن، وقد بحث عن الحقيقة وسعى إليها في فكره وسلوكه، ومقدّما في ذلك بديلا في التربية، والأخلاق، والتصوف، والسياسة، وما انتصاره للتصوف إلا دليلا على قمة التفلسف، لأن موقفه نشأ من تجربة فلسفية تأملية عميقة، نقد فيها المدارس السائدة في عصره، وانتصر لموقف يراه الحق، انطلاقا من ممارسة وتجربة حقيقية.

المصادر والإحالات

1- ينظر محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، ب ت، ص 335.

2- المرجع نفسه ، ص 336.

3- الغزالي: الأدب في الدين، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2003، ص 154.

* ينسب الغزالي إلى غزالة وهي قرية ولد بها من مدينة طوس ، أو بتشديد الزاي، أي الغزّالي لينسب إلى المهنة التي مارسها أبوه عند البعض.

** أحمد بن محمد أبو الفتوح الغزالي أخو أبو حامد(؟ / 520هـ)، واعظ درّس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس زهادة فيه، وهو متصوف ترك آثارا منها، الذخيرة في علم البصيرة في التصوف، ولباب الأحياء اختصر فيه الإحياء، و التجريد في كلمة التوحيد، و بوارق الإلماع في الرد على من يحرم السماع، له مجالس للوعظ كثيرة.

4- ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق وتدقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985،(المجلد6، ج 12)، ص185.

5- الذهبي: سير أعلام النبلاء، حققه وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1993، ج19، ص 335.

6- ينظر ابن كثير، مصدر سابق، المجلد 6، الجزء 12، ص 185.

7- الغزالي: المنقذ من الضلال، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 2003. ص 40.

8-Voir Bouyges, essai de chronologie des œuvres d'al-Ghazali, édité et mis à jour par Michel Allart, imprimerie catholique, Be - routh, 1959, p 170.

9- ينظر عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1961، المقدمة.

10- ينظر الغزالي: القسطاس المستقيم ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ب ت، ص219.

11- المصدر نفسه، ص 221.

12-الغزالي: المنقذ من الضلال، مصدر مذكور سابقا، ص 30.

13- رينه ديكارت: تأملات ميتافزقية في الفلسفة الأولى، ترجمة: كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1982، ص 47.

14- مهدي فضل الله: فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986، ص 109.

15- الحبابي محمد العزيز: ورقات عن فلسفات إسلامية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988، ص 114.

16- الغزالي: ميزان العمل، تحقيق وتقديم: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1964، ص 309.

17- الغزالي: المنقذ من الضلال، مصدر مذكور سابقا، ص29

18- المصدر والموضع نفسه.

19- إحياء علوم الدين، ج 3، ص 49..

20- ينظر المصدر والموضع نفسه.

21- سليمان دنيا: مقدمة تهافت التهافت، دار المعارف، ط 3، ب ت، ص 18.

22- طاش كبرى زاده: مصدر سابق، ص 23.

23- ينظر الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق: موريس بويج، تصدير: ماجد

فخري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1962، ص 5.

24- Voir, S. Munk : mélanges de philosophie juive et arabe, libra - rie philosophique, Paris, 1955, p375.

25- سليمان دنيا: مقدمة تهافت التهافت، مرجع سابق، ص 18.

26- هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة وآخرون، مراجعة وتقديم: موسى الصدر وآخرون، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1983، ص 279، 280.

27- عبد الرحمان بدوي: أوهام حول الغزالي، ورقة ألقاها في مؤتمر الغزالي دراسات في فكره وعصره وتأثيره، كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط، 1988، المصدر: http://www.ghazali.org/site-ar/gz-default-ar.htm

28- محمد عابد الجابري: مدخل ومقدمة تحليلية وشروح لكتاب تهافت التهافت لابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 2001، ص 20، 21.

29- ينظر الغزالي: تهافت الفلاسفة، مصدر سابق، ص 4.

30- الطاهر المعموري: الغزالي وعلماء المغرب، الدار التونسية للنشر، تونس، 1990، ص 78.

31- الغزالي: المنقذ من الضلال، مصدر مذكور سابقا، ص 28، 29.

32- المصدر نفسه، ص 36.

33- ينظر المصدر نفسه، ص 36 وما بعدها.

34- عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، مصدر مذكور سابقا، ص516.

35- ينظر المصدر نفسه، ص522، 525.

36- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الظلال، مصدر مذكور سابقا، ص65.

37- ينظر بدوي طبانة: مقدمة في التصوف، مرجع مذكور سايقا، ص17.

38- الغزالي: المنقذ من الضلال، مصدر مذكور سابقا، ص 67.

39- أرنولد ألن نيكلسون: التصوف، بحث في تراث الإسلام: تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف توماس أرنولد، تعريب: جرجيس فتح الله، دار الطليعة، ط3، بيروت 1978، ص325، 326.

40- ينظر هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة وآخرون، تصدير: موسى الصدر وآخرون، منشورات عويدات، ط3، بيروت، 1983، ص 282 وما بعدها.

41- الغزالي: احياء علوم الدين، ج 1، ص 111.

42- البخاري حمانة: الإدراك الحسي عند الغزالي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ت، ص 22.

43- الغزالي: المنقذ من الضلال، مصدر سابق، ص 65.

* وقد لاحظنا وجود تشابه كبير بين بعض أفكاره، أو حتى أقواله في الأخلاق مع ما جاء به (أحمد بن مسكويه) في تهذيب الأخلاق، وقد استخدم حتى نفس الأمثلة(قارن مثلا بين القول الذي ينسبه بن مسكويه للكندي في تهذيب الأخلاق ص190،191 وما جاء في إحياء علوم الدين، بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه الجزء3 ص55،56 ، وقارن أيضا ما جاء عن الغضب في تهذيب الأخلاق ص193، 194 مع ما جاء في إحياء علوم الدين ج3 بعنوان بيان حقيقة الغضب ص144، 145)، قارن أيضا ما جاء في فصل تأديب الأحداث والصبيان في تهذيب الأخلاق ص55، 56، 57، مع ما جاء في الإحياء بيان الطريق في رياضة الصبيان، الجزء 3، ص62، 63.

وقد لمسنا أيضا تشابه الأفكار والأمثلة بين الإحياء وما جاء في كتاب (أدب الدنيا والدين) للماوردي.

44- Voir Jules Janssens : Le mi'yar al-ilm fi fann al-mantiq d'al-ghazali, sourses avicenniennes et farabiennes p39-66).

* قارن مثلا ما جاء في كتاب الغزالي معارج القدس في معرفة النفس، مع ما جاء في كتاب ابن سينا مبحث عن القوى النفسانية، أو كتاب النجاة.

45- Voir Michael .E.Marmura, Ghazali and asharisme revisited, Arabic sciences and philosophy, a historical journal. Cambridge university press, Volume12 number1 March 2002 P91-110.

46- ينظر شهادة معاصره عبد الغافر الفارسي، تاج الدين (السبكي): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ط1، 1968، ج6، ص 210.

47- المصدر نفسه، ج6، ص 211.